من شعرية الانزياح في مجموع (لاحد احد سواي يجيدك) لغرام الربيعي – اختياراً

أ.م.د صالح مجيد الخزرجي / كلية الادارة والاقتصاد- جامعة وارث الانبياء

تاريخ الاستلام: ١٨/ ٩/ ٢٠٢٢

تاريخ القبول: ١٢/ ١٠/ ٢٠٢٢

تاريخ النشر: ١/ ٤/ ٢٠٢٣

الكلمات المفتاحية:

إنزياح الإسناد ، وإنزياح التحديد، شعرية، غرام الربيعي، الانزياح

ملخص البحث:

يحاول هذا البحث الإشتغال على نظرية غربية ارتكزت على بؤرة رئيسة في شعرية الشعر، وهي شعرية الانزياح متخذاً من مدونة معاصرة لأديبة عراقية أنموذجاً للأديب العراقي المعاصر وقد اتخذت الاديبة غرام الربيعي من (الكتابات المنزاحة) ميداناً لها محاولة منها لتجديد هذا النمط الإبداعي وضخّه بمياه جديدة بواسطة الانزياح ، الذي تشعب على نمطين

From the poetic displacement in the collection (No one but me is good at you) by Gram Al-Rubaie – as a choice

Prof. Dr. Saleh Majeed Al-Khazraji

Received: 18 /9/2022

Accepted:12/10/2022

Published:1/4/2023

Keywords:

the reference shift and the determination Shift.

Abstract

This research attempts to work on a Western theory based on a major focus in the poetry of displacement, which is the poetry of displacement, which was taken from a contemporary blog of an Iraqi writer as a model for the contemporary Iraqi writer. The shift that diverged into two modes.

مقدمة البحث

إنّ التوق إلى دراسة النص الأدبي دراسة حداثية تحاول أن تأخذ بمجامع المدونة الأدبية ، فتفكك شفراتها المتموضعة في بنياتها العميقة والسطحية لتصل إلى سرِّ الإبداع في أنساقها الداخلية والخارجية ، يبقى رغبة ملحة لكل باحث عن الجمال بإنصاف ، لذلك تأتي الإستعانة بمناهج ونظريات معاصرة بغية تحقيق ذلك التوق البحثي ، ونهدف في هذا البحث إلى محاولة تطبيق نظرية غربية وافدة تعرف بـ (شعرية الانزياح) للعالم الغربي الفرنسي (جان كوهين) لتكون الدراسة تطبيقية تتبنى آليات تلك النظرية ، وقد اخترت مدونة الأديبة (غرام الربيعي) لمسوغين : الأول : التعريف بأديبة معاصرة عراقية مبدعة ، والثاني : إن المدونة الأدبية المعاصرة أقرب إلى النظرية المعاصرة من القديمة كونها تجايلها زمنياً ، فضلاً عن انها قابلة لقراءات متعدّدة ، لاكتنازها بؤرة أدبية حداثية تبثّ شعريتها في الآفاق.

وقد حرصنا على التعامل مع مدونة غرام الربيعي بوصفها خطاباً أدبياً خاصاً ينطوي على رسائل مرسلة لطبقات من المتلقين تتضمن أنماطاً مختلفة من (التعبير والمحتوى) بعد أن نقف عند البعد الجمالي لهذا الخطاب ، ونكشف عن أقنعة لغته في محاولة لاستجلاء نقاطه المضيئة التي تميّزه عن الاستعمالات المعيارية للغة وقد وضعنا وفق هذا عنواناً للبحث وسمناه بـ (من شعرية الانزياح في مجموعة لا أحد سواي يجيدك لـ غرام الربيعي – اختياراً).

واقتضت طبيعته أن يُقسم على محورين : الأول : في شعرية الانزياح.

والثاني : مدونة الأديبة غرام الربيعي في مجموعتها (لا أحد سواي يجيدك) اختياراً.

ويشمل : آ – الاديبة ومجموعتها في سطور.

ب – الاجراء التطبيقي لمدونتها.

فقد اختص المحور الأول بالبعد التنظيري فكانت مهمته التعريف بمفاصل العنوان : (الشعرية ، الانزياح) وكان الانزياح متضمناً لنمطين منه ، هما : إنزياح الإسناد ، وإنزياح التحديد ؛ فيما كان المحور الثاني مختصاً بالبعد التطبيقي للمدونة.

المحور الأول : في شعرية الانزياح

نحاول في هذا المحور إلقاء ضوء على مصطلحين متعلقين بالعنوان، وهما : الانزياح، الشعرية.

أولا / في الانزياح : مصطلح فرنسي ارتبط بجان كوهين العالم الفرنسي الذي اشتهر بمصطلح (شعرية الانزياح).. فالانزياح في اللغة العربية مصدر الفعل انزاح فانزياح الشيء عن الطريق : إبتعاده وميله عنه ، فالانزياح عن المعنى الحقيقي للكلمة : الإبتعاد ...[١] وفي اللغة الفرنسية المصطلح المترجم عنه ، هو (ECART) ويعني البعد ، لذا يبدو المصطلح العربي (الانزياح) قريباً جداً من المصطلح الغربي من حيث المعنى .. يتجلّى (الانزياح) عند دوسوسير عبر تمييزه بين اللغة والكلام ، يوصف الكلام ((مجموع الانزياحات الفردية التي يصنعُها مستعملو اللغة))[٢] فكانت اللغة الأدبية تمثل انزياحاً بالنسبة إلى اللغة المعيارية، فالانزياح في المفهوم (الاسلوبي هو قدرة المبدع على انتهاك واختراق المتناول المألوف، سواء أكان هذا الاختراق صوتياً أم صرفياً أم نحوياً أم معجمياً أم دلالياً ، ومن ثم يحقق النص انزياحاً بالنسبة إلى معيار متواضع عليه لذا تبقى اللغة الإبداعية هي التي تسمح بهذه الخلخات اللغوية ضمن النصوص بحملها من النفعية البلاغية إلى الفنية الجمالية)[٣].

وهذا كله وفقاً لأفكار وتداعيات خاصة ، ومواقف محددة تمليها طبيعة المواضيع المتناولة ضمن النصوص ، أمّا المعيار الذي ينزاح عنه الشعر عند كوهين ، والذي تقاس عليه الانزياحات الشعرية فهو لغة العلماء مع تأنقهم فيها ، فقال : إنّ ((مبدأ التناسق يلزمنا أن نقارن الشعر المكتوب بالنثر المكتوب؛ وإذن فإنّ الترك على السجيّة لا يصلح معياراً هنا ، وفي الواقع فإنّ أحداً لا يكتب على سجيته ، فالكتابة تقتضي

دائماً حداً أدنى من الإعداد ومن الجهد، ...)) وبالتأكيد فإن هناك أنماطاً متعدّدة من الكتابة ، مثل كتابة الروائيين ، وكتابة الصحفيين، وكتابة العلماء))[٤]؛ فالانزياح إذن الذي يقصده (كوهين) هو إنزياح عن كتابة العلماء التي تمثل الحدّ الأدنى من الإهتمام الجمالي ، فلمصطلح الانزياح شفافية وليونة ينبغي ألآ تخرجه عن حدود الفائدة اللغوية لذا وجب ضبطه ، وتحديده ، إذ إنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها ، وبخاصة عندما يكون هذا المصطلح وافداً من الغرب ، فهناك مصطلح واحد يدل على معان مختلفة، وهناك مصطلحات مترادفة تدلّ على معنى واحد أو معان متقاربة ، وهنا تدخل عوامل متعددة في تأسيس ذلك منها بيئية وعصرية وثقافية ، لذا وجدنا مصطلحات كثيرة حول معنى الانزياح، منها ما أورده عبد السلام المسّدِي في كتابه (الأسلوبية والأسلوب) ، وهي : (("الانزياح والتجاوز" لفاريري ، و "الإنحراف" لسبيتزر ، و "الإختلال" لوالاك وفاران ، و "الإطاحة" لبايتار ، و "المخالفة" لتيري ، و "الشناعة" لبارت ، و "الإنتهاك" لكوهين ، و "خرق السنن" لتودوروف ، و "العصيان" لأراقون ، و "التحريف" لجماعة Legroupe))[٥]. تلك مصطلحات أجنبية الأصل مترجمة للعربية ، وهناك مصطلحات عربية الأصل مرادفة للإنزياح ، منها : ((الجسارة اللغوية))، و ((الغرابة)) ، و ((الإبتكار)) ، و ((الخَلق)) [٦]. وهناك مصطلحات آخرى ترادف الانزياح تختلف باختلاف ثقافات مطلقيها ، مثل : الإنكسار، وانكسار النمط ، والتكسير، والكسر ، وكسر البناء ، والإزاحة ، والإنزلاق ، والأختراق ، والتناقض،
والمفارقة ، والتنافر، ومزج الاضداد ، والإخلال ، والإختلال ، والجلل، والإنحناء، والتغريب، والإستطراد، والأصالة ، والإختلاف ، وفجوة التوتر[٧]. وهناك مرادفات أخرى للإنزياح تصل إلى أربعين مصطلحاً ؛ وهذا الكم الكبير من المصطلحات المرادفة للإنزياح يدلّ على عمق موضوعه وأهميته وأختلاف ثقافات أصحاب التأصيل لمرادفاته و ((إنّ هذه المسمّيات المختلفة هي في الحقيقة لمسمّى واحد ، وأطلق عليها ((عائلة

الانزيـاح)) ، ومـا الاخـتلاف فـي التسـمية إلا نتيجـة للاخـتلاف فـي النظـرة إلـى تطبيقاتهـا وتحليلاتها))[٨]. وهكذا فإنّ كثرة الاسماء المترادفة تدلّ على عمق المعنى.

ثانيـاً / فـي الشـعرية :- أول كتـاب وصـل عـن (الشـعرية) هـو كتـاب ارسـطو (Poetics) ، وهـو لـم يُتنـاول فيـه الشـعر الغنـائي ، وإنمـا تنـاول التمثيـل (المحاكـاة) ، فهـو كتـاب فـي التمثيـل ولـيس فـي نظريـة الأدب[٩]. فالشـعرية لا تخـتص بالشـعر فحسـب ، وهـذا المصـطلح لـم يكـن – بالضـرورة – مـأخوذاً مـن لفظـة الشـعر بمعنـى الـنظم الملتـزم بـالوزن والقافيـة ، أو لـم يلتـزم بأحـدهما ، وإنمـا هـي الكشـف عـن قـوانين الإبـداع ، لعـل النقـاد العـرب قبـل الجرجـاني (ت ٤٤١ هـ أو ٤٧١ هـ) يرجعـون (الشـعرية) إلـى أصـل واحـد ، هـو الشـعر ، مـدار بحـوثهم فـي مؤلفـاتهم النقديـة ، فنجـد (قدامـه بـن جعفـر) فـي كتابـه (نقـد الشـعر) يضـع حـدوداً للشـعر ، و (ابـن طباطِبـا) فـي كتابـه (عيـار الشـعر) ينظـر فـي صـناعة الشـعر. وكـذلك (الآمـدي) فـي (الموازنـة) ، و (ابـن سـنان الخفـاجي) فـي (سـر الفصـاحة) ، وآخـرون ينهجـون الـنهج عينـه ، لكـنّ (الجرجـاني) يـرى الشـعرية الكشـف عـن قـوانين الإبـداع الأدبـي فـي (الـنظم) (شـعراً كـان أم نثـراً) حيـث أنـه ((لابّـد مـن ترتيـب الألفـاظ وتواليهـا علـى الـنظم الخـاص وعلـى نسـق المعـاني فـي الـنفس))[١٠] وهـو لا يـرى الـوزن شـرطاً فـي الـنظم ((ولـيس بـه ، كـان الكـلام كلامـاً ، ولا بـه كـان كـلام خيـراً مـن كـلام))[١١]. وكـذلك فـإنّ الـدخول فـي دائـرة الشـعرية يقتضـي إبتعـاد المبـدع عـن البنيـات النحويـة الجـاهزة الـى مخالفـة الأداء لمقتضـى الظـاهر ، إنطلاقـاً مـن مفهـوم الـنظم عنـد الجرجـاني ، إذ قـال : ((ولـو كـان القصـد بـالنظم إلـى اللفـظ نفسـه ، دون أن يكـون الغـرض ترتيـب المعـاني فـي الـنفس ، ثـم النطـق بالألفـاظ علـى حَـذْوها ، لكـان ينبغـي أن لا يختلـف حـال اثنـين فـي العلـم بحسـن الـنظم أو غير الحسن فيه))[١٢].

إذن هـي ثنائيـة اللفـظ والمعنـى كيـف يمتزجـان لينتجـا أداءً فنيـاً جماليـاً بدلاليـة منتجـة ، مـع عـدم التقيّـد بمعياريـة اللغـة ، فلـيس للفـظ بمفـرده مزيّـة ، ولا المعنـى لوحـده دون جماليـة اللفـظ لـه مزيّـة، وإنمـا المزيّـة بتناسـق وتلاحـم الاثنـين ، فـذلك أقـرب للشـعرية لأنّ ((الألفـاظ

لا تتفاضل ، من حيث ألفاظ مجرّدة ، ولا من حيث هي كلمة مفردة ، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها))[١٣]. فالنظم ليس في الالفاظ فحسب ، ولا بتوخي المعاني فحسب ، وإنّما بالتوافق بينهما سويةً عبر التأكيد على وحدة بنية الكلام ، ورفض الفصل بينهما (اللفظ والمعنى) ، كل ذلك على قاعدة الاختلاف بين اللغة المعيارية ، واللغة الشعرية أي بتوخي المجاز الذي فيه سرّ جمال اللغة وإبداعها ، وهو ما يسمى بـ (معنى المعنى) ، و (مثلما تهتم نظرية اللغة الشعرية المعاصرة ، بوجود الاختلاف بين اللغة المعيارية واللغة الشعرية ، اهتم الجرجاني متقصّياً وجوه الاختلاف بينهما من جهة ، ودرجة التفاضل في اللغة الشعرية نفسها من جهة ثانية)[١٤].

وبعد الجرجاني جاء حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) فكانت له نظرة مقاربة لنظرة الجرجاني بخصوص الشعرية ، ولم يشترطها في الشعر فحسب ، فقال : ((القول إذا كان مؤلَّفاً مما يحاكي الشيء ، ولم يكن موزوناً بإيقاع فليس يُعَد شعراً ، ولكن يقال هو قول شعري؛))[١٤ مكرر] فالشعرية عنده ما وقع من تخييل ومحاكاة في الكلام الأدبي فإذا كان موزوناً فهو شعر وإلاّ فهو قول شعري وكذلك في العصر الحديث فقد تناولت (الشعرية) دراسة قوانين الخطاب الأدبي بالنظر إلى النص الأدبي فحسب بمعزل عن (الماورائية) أي الظروف التي تحيط بالنص من مبدع ومحيط ، وتاريخ ، أي عِبْرَ نظرة بنيوية ((وإذا كنا لا نستطيع أن نلغي مشروعية تناول الأدب من وجهة نظر نفسية ، أو اجتماعية ، أو آيديولوجية ، فإننا لا نستطيع – حسب جان كوهين – أن نمنحها الأهلية الجمالية التي تدّعيها ، كما لا نستطيع أن نمنحها – حسب الشكليين – صلاحية استنباط قوانين الأعمال الأدبية))[١٥].

يظهر مما تقدّم أنّ المقاربة المحايثة للنص هي ما تستند عليها الشعرية كما يرى ذلك الشكليون الروس[١٦]. وإن الشعرية لا تنفي موضوعية النص ، ولكن تتجسّد عبر الخطاب الأدبي ذاته ، فهي ((محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ، ومحايثة للأدب

بوصفه فنّا لفظياً، إنّها تستنبط القوانين التي يتوجّه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية؛ فهي إذن تشخّص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي ، وبغض النظر عن اختلاف اللغات ، والحقيقة إنّ وجود القوانين – أيّاً كانت نوعيتها – في الخطاب اللغوي أمر بدهي ، فلابُدّ في كلّ خطاب من وجود قوانين تحكمه ولكن المهم هو ماهيّة هذه القوانين والكيفيّات المتّبعة في استنباطها))[١٧].

ما تقدّم يجيب على سؤال متداول ، هو : هل اعتمدت الشعرية في الكشف عن قوانين الابداع الأدبي على غير المجازات اللغوية ؟

أعتقد أن الجواب بالنفي ، لأن الشعرية تتناول الوجهة الأدبية للخطاب اللغوي.. فهي تُعنى ((بتلك الخصائص المجردة التي تصنعُ فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية))[١٨] ؛ فالشعرية تعني بشكل عام محاولة معرفة ((قوانين الإبداع الفني))[١٩] ؛ ويمكن الإجابة على سؤال آخر : هو : هل الشعرية قضية مسكوت عنها ؟ نعم الشعرية قضية مسكوت عنها لأنّ التصورات بصددها والنظريات مختلفة فهي مجال خصب ذلك أنّ ((الشعر كالشجاعة والجمال ، لا يُنتهى منه إلى غاية (يونس بن حبيب) ، وسيبقى البحث في الشعرية محاولة فحسب ، للعثور على بنية مفهومية هاربة دائماً وأبداً ، ومهما نظّر المنظرون في الشعرية ، وعلى الرغم من كل الكلام الذي قيل فيها ، فسيكون من الأجدى جمالياً أن نعّد الشعرية قضية مسكوتاً عنها ، لكي نفتح في النهاية آفقاً جديداً للاستكشاف))[٢٠].

يبدو أن الترجمة العربية للمصطلح الغربي (Potics) تعاني من أزمة بسبب اختلاف الفهم في معناه ، فضلاً عن اختلاف المعرفة بالترجمة العلمية الإصطلاحية الدقيقة ، لذا تعدّدت ترجمات هذا المصطلح من (الشاعرية) إلى (علم نظرية الأدب)، و (الإنشائية)، و (البويطيقا) ، و (البوتيك) و (نظرية الشعر) ، و (فن الشعر) ، و (فن النظم)، و (الفن الإبداعي) ، و (علم الأدب) ، وقد رأى د. أحمد مطلوب أن الترجمة الملائمة للمصطلح الغربي (Potics) هو (الشعرية) بوصفها مصدراً صناعياً ، وتناول ذلك

بمحورين: يمثل الأول : (فن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول إلى شعر يدل على شاعرية ذات تميّز ، وحضور)[٢١] ، أمّا الثاني فيمثل: ((الطاقة المتفجرة في الكلام المتميّز بقدرته على الانزياح ، والتفرّد ، وخلق حالة من التوتر))[٢٢] وينقد المحورين حسن ناظم بإرجاعهما الى نظرة (جان كوهين) للشعرية ((بوصفها علماً موضوعه الشعر تندرج ضمن الإتجاه الأول، والشعرية بوصفها "انزياحاً" تندرج ضمن الإتجاه الثاني ، وكلا المفهومين عائدان لجان كوهين))[٢٣]. ويخلص إلى عدم وجود معيار دقيق يصف شعرية (كوهين) ، إلآ أنّ الأخير يربط الشعرية بالشعر فحسب ، بينما د. أحمد مطلوب بمحوره الثاني لا يرى ذلك وأنما يرى الشعرية – حسب فهم الباحث – الكلام المتميز بقدرته على الانزياح والتفرّد ، أي الكلام الأدبي وإن لم يكن شعراً.

كما أن الشعر ليس بالضرورة أن يحقق الشعرية ((ولكي تحقق القصيدة شعريتها ينبغي أن تكون دلالتها مفقودة أولاً ، ثم يتمّ العثور عليها ، وذلك كلّه في وعي القارئ))[٢٤] وكذلك فإن لانزياح حتى يكون شعرياً ينبغي أن يكون ((محكوماً بقانون يجعله مختلفاً عن غير المعقول، وكلما كانت نسبة الانزياح عالية تكون اللغة الشعرية على درجة من الرقي والفاعلية))[٢٥]. في ضوء ما تقدم فإن موضوعة الانزياح تتطلب الدراسة والتعرف على شتى النظريات والطروحات الفلسفية والجمالية التي تفيد موضوع البحث في الوصول إلى مؤشرات تحدّد طبيعة الانزياح.

بعض من سيرة غرام الربيعي

- غرام الربيعي شاعرة وتشكيلية وتربوية من مواليد ١٩٦٣ م.
- حاصلة على شهادة البكلوريوس تصميم داخلي من اكاديمية الفنون الجميلة عام ١٩٨٨م.
- ماجستير فنون تشكيلية.

١- النشاطات :-

- عملت في مجال حقوق الإنسان واقامت ورشاً حوارية وعلمية في ذلك.
- محررة لصفحة (فن تشكيلي) لمجلة النور الصادرة في السويد بثلاث لغات.

- كاتبة لعمود في جريدة الحقيقة (غرام كلام) مقال اجتماعي نقدي انساني.
- كتبت في مجال القصة والمقال والشعر ونشرت العديد من الكتابات في الصحف والمجلات العراقية والعربية المهمة والرصينة والشبكة العالمية.
- اشتركت في كثير من الملتقيات الأدبية والمهرجانات العراقية والعربية والدولية والمعارض الفنية.
- تم ترجمة العديد من نصوصها الى اللغات الاخرى (الكردية ، الفرنسية ، الانكليزية، الالمانية ، والاسبانية).
- كتب كثير من النقاد عن تجربتها الادبية والتشكيلية كما وظهرت سيرتها ونصوصها في عدة انطلوجيات ومؤلفات.
- اقامت معارض شخصية (ملامح مدينة) و (تراتيل ذاكرة) و (اكزايت) ومعارض مشتركة كثيرة.
- حصلت على العديد من الشهادات ، وكتب الشكر والتقدير للمشاركات الأدبية والفنون التشكيلية تجاوزت مائة شهادة وثلاثين درعاً ومداليات وكؤوساً متعددة كما نالت عضوية أكثر من عشرة منتديات واتحادات أدبية عراقية وعربية ودولية.
- رئيسة منتدى نازك الملائكة الثقافي في اتحاد الأدباء والكتاب في العراق.
- عضو المجلس المركزي في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

٢- إصداراتها

- (تراتيل في محراب النخيل) مجموعة شعرية ٢٠٠٩ م / مؤسسة مصر مرتضى.
- (حلم آيل الى الصباح) مجموعة شعرية ٢٠١٠ م / مؤسسة مصر مرتضى.
- (ضباب ليس ابيض) مجموعة شعرية ٢٠١٣ / دمشق ٢٠١٤.
- (لا أحد سواي يُجيدك) ٢٠١٦ / دار الشؤون الثقافية العامة.
- (سيبار حين يئن البجع) مجموعة شعرية عن اتحاد الأدباء والكتاب في العراق ٢٠١٨م.
- (عيون اناتا) مجموعة مشتركة ٢٠١٢ / (معهد غوته) بأربع لغات.

- (رفيف الثريا) مجموعة مشتركة ٢٠١٤ / اتحاد الادباء والكتاب في العراق.
- (نساء تكتب للربيع) مجموعة مشتركة مترجمة للغة الفرنسية (المعهد الفرنسي).

٣- مما قالته الأديبة عن الانزياح :

يقول (جان كوهين) : الشعر انزياح عن معيار هو قانون اللغة ، فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة ، أو مبدأ من مبادئها ؛ إلا أن هذا الانزياح لا يكون شعرياً إلا إذا كان محكوماً بقانون يجعله مختلفاً عن غير المعقول.

وأنا ممن يرى ان الانزياح ضرورة جمالية لإتمام لذة الشعر ومنح النص هويته الشعرية التي تبعده عن الكلام العادي والمعتاد ، وسلخ مقومات اللغة عن المألوف واقترابها من اقاصي التأمل والمخيال وفي نفس الوقت يعيد تشكل المعنى واقتراب الدلالة عند المتلقي ، وأحياناً كثيرة لا أبالي في وصول المتلقي لنفس محطات تفكيري وشعوري تجاه غايات النص ، لكن المهم أن يثير النص متلقيه ويجعله لا يقف في منطقة السكون والبلادة ليُحلّق مع افاق الفكرة والمعنى وأن يحقق عنصر الدهشة والحرص على الإصغاء للانغماس مع النص والتماهي معه ، وبالتأكيد هذا لا يتحقق إلا بامكانية الشاعر على صياغة النص بأبهى الجمل المزاحة عن واقعيتها والمقتربة من التأويل والتشبيه او التناص او الاستعارة وكلّما كان النص الشعري بعيداً عن المألوفات والمستهلكات من اللغة كان اقرب للشعرية وهذا حتما يحتاج الى كثير من الوعي والحس الثقافي والتمكن من اللغة وفهم التناصّات او التشبيهات كمعيار صائب للاستخدام دون غياب الموهبة الشعرية والتمكن غير المصنع.

ب – الاجراء التطبيقي لمدونتها :

أولاً / شعرية الانزياح الإسنادي : وهو – مجازاً – أن تسند فعلاً لفاعل غير عاقل وكما يراه (جان كوهين) ((واحداً من الوظائف النحوية التي يمكن أن تشغلها وحدة كلامية))[٢٦] ويستشهد (كوهين) بمثال تشومسكي لتوضيح فكرته : ((الافكار الخضر بلا

لون تنام بعنف)) فهو من الناحية التركيبية (النحوية) صحيح لكنه غير منطقي وظيفياً ، فالانزياح الإسنادي خروج عن القواعد المنطقية ..

وقد كانت الانزياحات الإسنادية من مدونة غرام الربيعي ظاهرة واضحة شكلت عندها صورة حركية تنبض بالحياة والحركة استندت في رسمها الى وسائل بيانية أضفت عليها لوناً خيالياً ظريفاً ، فقالت[٢٧] :

لا شيء يُدهش
إلا جنون عشقك

فقد أوجدت الأديبة فجوة ، مسافة توتر بحسب تسمية (كمال أبوديب) بين العبارات التركيبية الإسنادية والإضافية (الدهشة + جنون العشق) فكانت المجردات المعنوية (الدهشة ، العشق).

وللأديبة انزياحات اخرى[٢٧] منها :-

والمرايا حزنُ وقت ينفلتُ كخرزة
أو
مساءٍ بلا حروف
نجومه ضئيلة الأفكار

إن السياق الانزياحي الذي ورد في هذه الصورة يمنح الكلام درجة رفيعة من الشعرية الساحرة، والعلاقة المفسّرة لهذا الانزياح تتمثل في اسناد فعل انفلات الخرزة للحزن ، وهو انحراف دلالي قائم على (بنية المجاز) التي تشحن الدلالة بشحنات دلالية جديدة وتعمل على تطويرها ، فقد ذهب علماء الدلالة في الدراسات اللغوية الحديثة وعلى رأسهم (ميشال ل بريال) و (دار مستيتر) الى ان المجاز بعلاقته الجزئية والكلية و العلاقات الآخرى كالمجاورة ، والسببية ، وفي الاستعارة نماذج أساسية لتغير الدلالات وتطورها[٢٨].

يبدو إنّ عمق هذه الصورة يتجسّد في الاخبار عن المرايا بـ (حزن وقت) فقد انحازت عن الواقع إذ نُسب الحزن للمرايا والذي هو مما يختصّ بالإنسان ، وكذا في الصورة الثانية عندما اخبرت الأدبية عن نجوم المساء بأنها ضئيلة الأفكار ، فلو قالت مثلاً: (الحزين ضئيل الأفكار) لما كان هناك إنزياح مما زانها عمقاً دلالياً واضحاً ...

ومع إنزياح اسنادي آخر للأديبة الربيعي إذ تقول :

ورِثت جنونها من شمس لا تحرق الأحلام[٢٩]

يتجلى الانزياح عن النسق الوصفي في قولها ((ورِثت جنونها)) والضمير (ها) عائد على قول سابق : ((حكاية خاوية من الوقْت))

معروف أنّ الوراثة من خصائص الكائنات الحية فقد اسندت الأديبة الإرث لما هو معنوي (حكاية) ، وهناك إنزياح اسنادي آخر في القول ذاته : (من شمس لا تحرق الأحلام) فالحريق يختصّ بما هو مادي من كائنات حية إلى جماد ؛ أمّا صورة المعنويات (كالأحلام) والتي أسندت لها الكاتبة (الحرق) فقد جسّدت اللغة الشعرية لذلك القول إذ أن (حرق الأحلام) يتجاوز في تركيبه اللغوي منطق اللغة العادية ، هذه اللغة التي يكون هدفها منطقية المعنى، ولا تحفل بمنطقية الإنفعال التي تؤثر في المتلقي ، هكذا تتمظهر الشعرية في النص عبر التراكيب التي تنحرف عن المعتاد ، ومن أمثلة هذا النمط من الإنزياح أيضاً قولها :

يا دفءَ الكلمات حين يذوب ثلج الوقت.

الانزياح عن النسق الوضعي في (يا دفءَ الكلمات) ، ((حين يذوب ثلج الوقت)) فقد أضفى هذا الانزياح الكثير على اللغة الشعرية ، لأنّ هذه التراكيب تجاوزت منطق اللغة العادية في تشكيلها اللغوي من اهتمامها بمنطقية المعنى إلى منطقية الإنفعال لتخلق فجوة وإنفعالاً في نفس المتلقي ، فترى الشعرية تتجسّد في قولها ((يا دفءَ الكلمات)) إذ وصفت الكلمات بالدفء الذي لا يحسّ به إلا الكائن الحي – الإنسان بخاصة – فكان هذا التجسيد الجميل ؛ وفي عبارتها الثانية: ((حين يذوب ثلج الوقت)) خروج عن

الأصل المنطقي إلى دائرة الإنفعال والتأثير والجمال فقد جعلت للوقت (المعنوي) شيئاً مادياً: (الثلج) ورسمت صورة فنية وذلك وقت ذوبان الثلج بتلقيه الحرارة وهي تقصد – دون أدنى شك – حرارة الشوق ولهفة اللقاء ..

وتضمّ نصوص مدونة غرام الربيعي (إنزياحات إسنادية) كثيرة ساعدت على خلق شبكة الدلالات العامة في نصوصها وتطورها ، فكانت ظاهرة أسلوبية مميزة أحاطت نصوصها بمزايا شعرية جديدة ، وهناك إنزياحات إسنادية كثيرة في مدونتها ، منها :

((لك وحدك أهمل مرايا الغباء))[٣٠]، ((كلما أودعتك بعض عمر تعثّر الغياب))[٣١]، ((تشعر بالمرارة أسئلتي المنزوية تحت المطر))[٣٢]، ((حين يغفو الضوء))[٣٣]، ((وسوسة نهايات معلّقة تعطل كل شيء إلآ أفكاري))[٣٤]، ((سيرة مترنحة))[٣٥]، ((حين يغادر الزئبق لونه المعتاد))[٣٦]، ((السنابل تهمس)) ، ((تصرخ بالاحتراف))[٣٧]، ((بكل إصرار يراود اللهفة))[٣٨]، توهج الشوق بي بألق اللغات))[٣٩]، وإنزياحات إسنادية كثيرة آخرى في مدونتها تصوغ جسد اللغة الشعرية المبدعة ، إذ الكلمات تجاوزت في تشكليها منطق اللغة العادية إلى أنماط لغوية جديدة منزاحة عن اللغة المعيارية لغرض بناءٍ لغوي جديد يثير الانفعال والجمال في نفس المتلقي.

ثانياً – إنزياح التحديد :- تعرف وظيفة (التحديد) بوصفها الوظيفة المحدّدة للشيء من بين أشياء اخرى ممكنة الإختلاط به ((وبعبارة بمنتهى البساطة أن تعيّن الشيء المقصود عندما تواجه عِدّة أشياء فعلى أساس مبدأ الإقتصاد اللغوي نحتاج إلى هذه الوظيفة لتحديد أشياء نوعية جديدة داخل مجال عام، نقول : (الكتاب الصغير) عندما نريد تحديد الكتاب الذي نقصد من غير حاجة إلى مفردات جديدة ، ولوظيفة التحديد صيغة متعددة ، أهمها: التملك ، والإشارة ، والإضافة ، والنعت))[٤٠]، فلو أخذنا المثال الآتي من التحديد بالنعت : ((الخطيئة الممرغة بالتبرير)) فلا يمكن حذف النعت (الممرغة) من دون تغيير الجملة ، إذ ستتحول قيمة صدقها من جملة صادقة إلى كاذبة، ذلك أننا غيرّنا (مجال المسند) بانتقالنا من التحديد لمفهوم الخطيئة (أي نوع

خاص منها) إلى المفهوم العام للخطيئة ، فالنعت الذي يؤدي وظيفة التحديد في اللغة المعيارية ينبغي له : ((أن ينطبق على جزء من الاسم ألا ينطبق على الجزء فقط ، وعلى الضد من ذلك تكون الصور الشعرية القائمة على هذه الوظيفة أمّا غير ملائمة أي غير منطبقة على جزء من الموصوف كالصورة : (الشذى الأسود) أو على كل الموصوف لأعلى جزء منه كالصورة : ((الزمرد الأخضر)) فكانت الصورة الأولى تمثّل حشواً يخرق مبدأ اللغة في اقتصاد الجهد ، وكلتاهما تمثّل مظهراً من مظاهر الإنزياح بوصفه الأوحد للغة الشعرية))[٤١].

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النمط للإنزياح في مدونة غرام الربيعي ، منها : ((أنا حكاية خاوية من الوقت))[٤٢] ، ((السرير وثير بنا ووسائدُ محشوة بالهمس))[٤٣] ، ((حلم يبدد المسافات نحو سؤال مدلّل لأنس أكداس الخوف))[٤٤] ، ((لن تصدأ لوحتي المبلّلة بسطوع المعنى))[٤٥].

وأمثلة أخرى من هذا النمط من الانزياح لكنه إنزياح التحديد بالإضافة ، نأخذ بعضها : ((مندسّة في جنون الطين))[٤٦] ، ((دع هاوية البحر))[٤٧] ، ((الكلمات تداعب ملامح اللحظة))[٤٨] ، ((كفٌ عن رجمنا بعمرٍ من زيف اللون))[٤٩] ، ((نفر من كيد الشقوق وعاهات العيون))[٥٠] ، ((لترسم خرائط القرب واختزال المسافات))[٥١] ، ((وتزهو بدلع الحرير))[٥٢] ، ((راية تعلن إمضائي ، فتنام قوافل الصوت بفم الرغبة))[٥٣] ، ((والضفاف ستائر من غابات تتلاشى بين أحضان العاقبة))[٥٤] ، ((كان الوقت هزيلاً يذعن لميراث الجفاف))[٥٥].

يظهر إنزياح (التحديد بالأضافة) عن النسق الوضعي في تلك الامثلة في قولها : (جنون الطين) إذ جعلت للطين جنوناً ، وفي قولها : (هاوية البحر) فقد أضافت الهاوية للبحر ، ففي الاستعمالات العادية لا يكون للبحر هاوية وإنما الهاوية من لوازم الأشياء المادية، وكذا عندما جعلت الكلمات تداعب ملامح اللحظة ، فاللحظة وحدة من وحدات الزمن (من المعنويات) وقد جعلت لها ملامح هي من صفات الأجسام المادية ، وكل هذه

الانزياحات تخلق لغة تنعطف عن الاستعمالات اللغوية العادية المتواضع عليها لتلد لغة شعرية خاصة متفرعنة على النسق المعياري للغة ، فقد جعلت الأديبة (للحرير دلعاً) والدلع من متعلقات الفتيات الحسناوات مثلاً ، فكانت الفجوة الأكثر جِدّة ، فقد إنزاحت الأديبة بتشكيلتها تلك عن المألوف واستعملت لفظة (دلع) استعمالاً رمزياً إنزياحياً لغوياً خاصاً خالقةً حِسّاً عميقاً بالفجوة القائمة بين المضاف والمضاف إليه ...

الخاتمة

بعد أن أنهت الدراسة رحلتها مع اللغة الشعرية لمدونة (غرام الربيعي) لابدّ لنا من أن نسجل أبرز النتائج التي أفضت إليها مفاصلها وبالنقاط الآتي ذكرها :

١- بيّنت الدراسة على المستوى التنظيري – أنّ مصطلح (الانزياح) – الذي تبناه كوهن – قد أثيرت حوله أسئلة متعدّدة ، وحاولت معظم الإتجاهات النقدية النظرية إرساء مفهوم إصطلاحي لهذه الظاهرة ، وتنوّعت – على إثر ذلك – الرؤية الموجهة إلى ضبط نظام هذه الظاهرة فتعدّدت بتعدّد الشعريات ، غير أنها شملت تصوراً واضحاً فيه لأول وهلة وهو السياق الذي ظهرت فيه (اللغة).

٢- وجدت الدراسة إنّ لمفهوم (الانزياح) مصطلحات وأوصافاً كثيرة لافتة للنظر تفاوتت فيما بينها تفاوتاً كبيراً ، وقد نُقل من المصطلحات في هذا المفهوم إلى العربية ما لا يقل عن الأربعين ، وقد عبر الغربيون أنفسهم عن هذا المفهوم بمصطلحات كثيرة يقارب عددها العشرين وعلى الرغم من ذلك إلآ أنهم مجمعون ضمنياً على اختيار كلمتين (Deviatioon) و (Ecart) مصطلحين مركزيين في تداول هذا المفهوم.

٣- كشفت الدراسة عن وجود تعدّد في مفهوم هذا المصطلح يوازي ذلك التعدّد الحاصل في تسميته ، فمثلما تعدّدت هذه المصطلحات فأنّ مفهومها تعدّد أيضاً ، إذ حاولت معظم الإتجاهات النقدية النظرية الغربية ، والعربية طرح مفهوم اصطلاحي له مما أدى إلى كثرة المفاهيم الدالّة عليه تبعاً لكثرة الشعريات التي تناولته.

٤- وضّحت الدراسة – على المستوى الإجرائي – أنّ نصوص مدونة (الربيعي) تختزن إنزياحات متعدّدة تتعاون على خلق شبكة الدلالات العامة في نصوصه وتطورها، لتشكل – في نهاية المطاف – ظاهرة أسلوبية بارزة تُضفي على نصوصها مزايا شاعرية جديدة ، وقد اشتملت على نمطي (الإسناد ، والتحديد).

٥- جاء (انزياح الإسناد) في صدر الانزياحات التي تضمنتها المدونة يتبعه من حيث الكم (انزياح التحديد).

هوامش البحث:

(١) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة : مادة (انزاح).
(٢) ينظر : مصطلح (الانزياح) بين ثابت اللغة المعيارية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي : ١٩٠
(٣) الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة ، د. محمد بلوجي مجلة التراث العربي ، ع ٩٥ ، ٢٠٠٤م : ٦٦.
(٤) بنية اللغة الشعرية : ٢٢
(٥) الأسلوبية والأسلوب : ١٠٠ – ١٠١.
(٦) ينظر : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية : ٣٢.
(٧) شعرية الانزياح بين عبد القادر الجرجاني وجان كوهين : ٨.
(٨) الأسلوبية – الرؤية والتطبيق : ١٨١.
(٩) ينظر : الشعرية ، تودوروف : ١٢.
(١٠) دلائل الإعجاز ، الجرجاني : ٤١٦.
(١١) م. ن ، ص ، ن.
(١٢) م. ن : ٥١.
(١٣) م. ن : ٤٦.
(١٤) في الشعرية العربية ، قراءة جديدة في نظرية قديمة ، طرّاد الكبيسي : ٧٣.
(١٤) مكرر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجنّي : ٦٧.
(١٥) مفاهيم الشعرية – دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، د. حسن ناظم : ٦.
(١٦) ينظر : م. ن : ٩.
(١٧) مفاهيم الشعرية : ص. ن.
(١٨) الشعرية ، تزفيتان دوروف : ٢٣.
(١٩) موسوعة نظرية الأدب – الصورة ، الطبع – المنهج ، تر : جميل نصيف التكريتي: ٣.
(٢٠) مفاهيم الشعرية : ١٠.
(٢١) الشعرية ، د. أحمد مطلوب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٣ – المجلد ٤٠ ، ١٩٨٩م : ٤٥.
(٢٢) م. ن : ٤٦.

(٢٣) مفاهيم الشعرية : ١٦.
(٢٤) اللغة الشعرية في الخطاب النقدي – تلازم التراث و المعاصرة – محمد رضا مبارك: ٢١١.
(٢٥) بنية اللغة الشعرية .
(٢٦) ينظر : الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق : ١٨١.
(٢٧) مجموعة (لا أحد سواي يجيدك) – غرام الربيعي : ٩.
(٢٨) م. ن : ١٠.
(٢٩) مقدمة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث ، أحمد محمد مندور ، مجلة ألم الفكر ، مج ١٦ ، ١٩٨١م : ٣٧.
(٣٠) مدونة الربيعي : ١١.
(٣١) م. ن : ١٤ ، (٣٠) ، م. ن : ١٥ ، (٣١) م. ن : ١٦ ، (٣٢) ، م. ن : ٢٢ ، (٣٣) م. ن : ٢٧ ، (٣٤) ، م. ن : ٢٧ ، (٣٥) ، م. ن : ٣٢ ، (٣٦) م. ن : ٣٣ ، (٣٧) م. ن : ٣٤ ، (٣٨) ، م. ن : ٤٨.
(٣٩) إتجاهات الشعرية الحديثة – الأصول والمقولات ، يوسف اسكندر ، ٣٤٠.
(٤٠) مجموعة (عرق في جبين الغيم) ، محسن العويسي.
(٤١) مجموعة الربيعي : ١١ ، (٤٢) : م. ن : ٤١ ، (٤٣) م. ن : ٦٠ ، (٤٤) م. ن : ٦٣ ، (٤٥) م. ن : ١٧ ، (٤٦) م. ن : ١٩ ، (٤٧) م. ن : ٢١ ، (٤٨) م. ن : ٢٢ ، (٤٩) : م. ن : ٢٩ ، (٥٠) م. ن : ٣١.
(٥١) م. ن : ٣٩. (٥٢) م. ن : ٥٠ ، (٥٣) م. ن : ٥٧ ، (٥٤) م. ن : ٥٩.
٢٣ ج : اللغة الشعرية في الخطاب النقدي – تلازم التراث والمعاصرة – محمد رضا مبارك – وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ،بغداد ، ١٩٩٣م : ٢١١.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – الكتب :
١- إتجاهات الشعرية الحديثة – الاصول والمقولات – يوسف اسكندر ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١٦م.
٢- الأسلوبية – الرؤية والتطبيق – يوسف ابو العدّوس ، ط١ ، دار الميسّر للنشر والتوزيع والطباعة ، عمّان ، الأردن ، ٢٠٠٧م.
٣- الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسّدي ، ط٥ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٧م.
٤- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، أحمد محمد ويس ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
٥- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة: محمد الولي، ط١، دار توبقال ، المغرب، ١٩٨٦م.
٦- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط٣ ، دار مدني ، جدّة ، ١٩٩٢م.
٧- الشعرية ، تزفيتان تودوروف ، تر : شكري المبخوت ورجاء سلامة ، ط٢ ، دار توبقال للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٠م.
٨- (عرق في جبين الغيم) مجموعة شعرية ، محسن العويس، ط١، مط تموز، دمشق، ٢٠١١م.

٩- في الشعرية العربية ، قراءة جديدة في نظرية قديمة ، طرّاد الكبيسي ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤ م.
١٠- (لا أحد سواي يجيدك) ، غرام الربيعي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١٦م.
١١- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي – تلازم التراث و المعاصرة – محمد رضا مبارك – وزارة الثقافة و الاعلام – دار شؤون الثقافية العامة – ط١ – بغداد ١٩٩٣م: ٢١١.
١٢- معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.
١٣- مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، د. حسن ناظم، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م.
١٤- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجي ، تح : محمد الحبيب ابن الخوجه ، ط٣، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦م.
١٥- موسوعة نظرية الأدب ، - الصورة – الطبع ، المنهج ، مجموعة كتاب سوفيت ، تر : جميل نصيف التكريتي ، ط المغرب ، ١٩٩٠م.
ثانياً – الرسائل الجامعية :
١٦- شعرية الانزياح بين عبد القادر الجرجاني وجان كوهين ، سعاد بولحواش ، رسالة ماجستير ، جامعة لحاج لخضر ، باتنة ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، الجزائر ، ٢٠١٢م.
ثالثاً – الدوريات :
١٧- الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة ، د. محمد بلوجي ، مجلة التراث العربي ، ع ٩٥ ، ٢٠٠٤م.
١٨- الشعرية ، د. أحمد مطلوب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج٣ ، المجلد ٤٠ ، بغداد ، ١٩٨٩م.
١٩- مقدمة لدراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث ، أحمد محمد قدور ، مجلة ألم الفكر ، مج ١٦ ، ع ٤ ، ١٩٨٦م.